

درس في إعادة التوزيع

توم ماكلوفلين

موقع قضايا أمن الأسرة

24 ديسمبر 2009

A Timely Lesson on Redistribution

By Tom McLaughlin

Family Security Matters Website

ترجمة: علي الحارس

• مدرس لمادة التاريخ في المدارس الأمريكية.

• كاتب صحفي يكتب أعمدة أسبوعية في عدد من الصحف الأمريكية.

توم ماكلوفلين

بعد أن انتهيت من إعطاء الطلاب أوراق امتحان مادة التاريخ الأمريكي في موضوع (الحرب العالمية الأولى)، توقفت هنيهة ريثما ينتهون من سؤال بعضهم بعضاً عن الدرجة التي حصل كل منهم عليها.

وبعد أن انتهوا من هذا السؤال التقليدي، قلت لهم: «لدي فكرة جيدة».

- «وما هي؟» تساءلت إحدى الطالبات.

- «لقد أحرز الكثير منكم درجات جيدة في الفترة الأخيرة، فكانت هنالك (100) و(90)، لكن الآخرين لا يزالون على مستواهم المنخفض، فكانت هنالك (30) و(40)».

وكانوا قد عرفوا حقيقة الوضع بعد أن سألت كل منهم الآخر قبل قليل.

- «إنني أفكر بإعادة توزيع الدرجات، حيث أقتطع (30) درجة ممن حصل على (100)، وأعطيها للطالب الذي حصل على (30)؛ وبهذه الطريقة فإن الطالب الذي حصل على (100) يتبقى لديه (70) وهي درجة (جيد) التي لا بأس بها، أما الذين حصلوا على (30) فيكون لديهم عندها (60) وهي درجة (مقبول) الكافية للنجاح. وبهذه الطريقة تتحقق مساواة أكبر بين الطلاب، فما رأيكم بذلك؟»

درس في إعادة التوزيع

لم يدر بعض الطلاب ما يقول. وبعضهم فغر فاه. وأخذ يرتجف أولئك الذين درسوا بجد.

- «لا أظن أن هذه فكرة جيدة.» قال أحدهم.

- «حسنًا... هل منكم من أحب هذه الفكرة؟» قلت لهم.

رفع أربعة فقط أيديهم.

- «ومن لم يحب الفكرة؟»

رفع الباقون بأجمعهم أيديهم عاليا.

- «حسنًا... لماذا لم تحبوها؟»

أجاب أحد الطلاب: «لقد عملنا من أجل هذه الدرجات. وليس من العدل أن تأخذ درجاتنا وتعطيها لمن لم يدرس. يجب أن لا يحصلوا على درجات مقابل لا شيء.»

وأيدته إحدى الطالبات: «نعم... إن قمتَ بذلك فإن الطلاب الذين لم يدرسوا لن يقوموا ببذل أي جهد في المستقبل. إذ ليس هنالك من سبب يدفعهم لذلك.»

وأضاف طالب آخر: «أيضا. فإن الطلاب الذين درسوا بجد لم يكونوا ليدرسوا إلى ذلك الحد لو كانوا يعلمون بأن درجاتهم التي أحرزوها ستؤخذ منهم ببساطة وتعطى إلى الآخرين.»

- «حسنًا... حاليا... هذه ليست إلا مجرد فكرة.»

- «ولكنها ليست من أفكارك الجيدة.» رد أحد الطلاب.

- «لم أتخذ قرارا بعد. وسأحيطكم علما عند اتخاذه. أما الآن فأرجو منكم أن تفتحوا الصفحة (888) رجاء.»

درس في إعادة التوزيع

وفعلوا ذلك.

- «أريد من أحد الطلاب أن يقرأ على الجميع التعديل السادس عشر للدستور الأمريكي والذي أقر عام 1913، أي قبل قرابة قرن مضى. فهل من متطوع؟»

بدأ أحد الطلاب يقرأ بصوت مرتفع: «يكون للكونغرس سلطة فرض وتحصيل الضرائب على الدخل. مهما كان مصدرها. ودون تعيين حصص لأي ولاية. ودون اعتبار لأي إحصاء أو قوائم».

- «شكرا... لقد كانت هنالك ضريبة دخل مؤقتة خلال الحرب الأهلية الأمريكية واستمرت لبعض الوقت بعد انتهائها. لكن المحكمة العليا أصدرت قرارا بعدم مطابقتها لأحكام الدستور. لذا كان من الضروري تمرير التعديل السادس عشر لاستئناف تلك الضريبة مرة أخرى. وكانت تلك الضريبة تفرض فقط على أغنى الناس. أي من يبلغ دخله السنوي 80 ألف دولار أو أكثر. ثم ما لبثت أن تحولت إلى ما يدعى بضريبة الدخل (التدرجية) أو (التصاعدية)».

ثم رسمت أشكالا بيانية على السبورة، وبينت فيها أن معدل ضريبة ثابت مقداره (15%) يعني أن من يحصل على دخل سنوي قدره 10 آلاف دولار سنويا يدفع 1500 دولار كضريبة، ومن يحصل على 100 ألف دولار يدفع 10 آلاف دولار كضريبة؛ إذن: يدفع الأغنى مبلغا أكبر، لكن النسبة تبقى ثابتة. ثم شرحت لهم كيف أن الضريبة «التدرجية» أو «التصاعدية» ترتفع فيها النسبة على نحو هائل إلى حد تأخذ فيه الدولة معظم الدخل إذا تجاوز رقما معيناً. ففي أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن الماضي كانت الضريبة تصل إلى أكثر من (90%) في بعض الحالات. وحينها وزعت على الطلاب أوراقا تحوي أشكالا بيانية توضح أعلى نسب الضرائب الهامشية منذ عام 1913؛ فقال أحد الطلاب:

- «عجبا... لن يكون هنالك معنى للعمل بجد إذا قامت الدولة بأخذ الأرباح كلها».

درس في إعادة التوزيع

- «نعم».

- «إذن هذا ما كنت ترمي إليه بفكرة توزيع الدرجات».

- «نعم».

أخيرا شرحت لهم أن نصف العمال الأمريكيين يدفعون للدولة كامل الحصيلة الضريبية تقريبا. أما النصف الآخر فلا يدفع شيئا. بل إنه قد يحصل على المال بذريعة ما يسمى «الضمان المستحق من ضريبة الدخل». فقالت إحدى الطالبات: «يبدو هذا شبيها بما فعله الشيوعيون في روسيا».

وكنا قد شاهدنا مؤخرا فيلم (الدكتور شيفاجو) لأخذ فكرة عن الحرب العالمية الأولى والشيوعيين في روسيا وقيام الاتحاد السوفييتي.

- «الوضع مشابه. ولكنه ليس على نفس الدرجة من التطرف. إذ توجد ضرائب يدفعها النصف الآخر من الأمريكيين كي لا يكون هنالك أي شخص لا يدفع الضرائب. ولكن الأغنياء يدفعون كلفة معظم المشاريع التي تقيمها الحكومة. وقد استنتج النصف الآخر من هذا الحال أن بإمكانهم الحصول على أشياء يدفع الآخرون ثمنها إذا انتخبوا نوابا وسيناتورات يدعمون مثل هذه الضرائب».